أحمد شوقي:

يلاحظ الدارس للشعراء المعتدلين ، الكلاسيكيين الجدد – وضوح شخصياتهم في شعرهم ، وضوحا، يكاد بشكل ظاهرة متميزة في تاريخ الأدب الحديث ، شأنهم في ذلك شأن رائدهم الأول – محمود سامي البارودي – فقد لمسنا في شعر حافظ والرصافي ما يعكس شخصيتهما، ويجسد حياتيهما ، أشد ما يكون التجسيد .

وربما يفوق هذا الوضوح لدى أحمد شوقي ، ما وجدناه لدى حافظ والرصافى

وإذا شفنا أن تطبق منهجنا النقدي ، الذي يحتم علينا دراسة شعر الشعراء في تأثره بالتيارات السياسية والاجتماعية والدينية ، كما ندرسه في ظل ما ينتهي اليه فهمنا لشخصياتهم ، في عواطفها ومشاعرها وثقافتها وفهمهما لطبيعة المجتمع والحضارة وطرائق الحكم ، وغيرذلك مما يتصل بهم ، ويؤثر فيهم، وينتهي بعد ذلك إلى ظهوره في شعرهم ، إذا شئنا ذلك، توجب علينا أن ندرس تأثير كل هذه العوامل في شعر الشاعر ليكون حكمنا عليه وعلى شعره قريبة من الصواب ، بعيدا عن الزيف .

والواقع أن شوقي وشعره ، قد تأثرا تأثر بعيدا بما حولهما ، من ظروف وأحداث وهي ظروف منقلبة ، وأحداث كثيرة ، فلما صادفت شاعرة مثلما صادفت (شوقي) و رد ذلك عنده سببان:

الأول : أن عصر شوقي قد نهض بالكثير من التحولات و الثورات ، ولم يقف الشاعر بعيدا عنها ، بحكم موقعه الاجتماعي المتميز ، و تطلعاته وثقافته ، فقدر ما أعانته تلك الظروف على أن يعيش في بحبوحة من الرخاء والدعة ، فقد فاجأته أعاصيرها بما أفقده عنزه وجاهه ومكانه ، فعاش سنوات الغربة بعيدا عن وطنه ، يكابد أسى الحنين ، وألم الغربة ، وإذا بقصور الأندلس التي ضاعت من أهلها ، تذكره بما فقد من عز و حرم من نعيم في قصور إسماعيل و توفيق وعباس ، ولذلك سالت قصائده غناء وحنينا و تذكر فيما يعد بعد ذلك يناغي بلابل تلك القصور ، بل

أضطر اضطرار إلى أن يحيا مابقى سني حياته ، مع صفوف الشعب يشاركه آلامه ويشاطره آماله .

وليس هذا فحسب ، فقد أثر في شعر شوقي ، وانطبع كل ما كانت تتطلع اليه وشعبه من ثورات سياسية وتطلعات اجتماعية ، وما استدعاه أدب امته شعره ونثره من تطورات ، فكان الشاعر يستجيب لكل ذلك واتسع شعره للعديد من الفنون الأدبية الجديدة ، والموضوعات الحديثة.

والسبب الثاني : يتعلق بشخصه وطبيعة نفسه واتجاهات ثقافته ، فقد كان شوقي، وكان قد الآمال ، شديد التطلع ، عميق الإحساس ، و كان فوق ذلك يمتلك ذكاء حادة ، و صفات مختلفة .

وساعده على ذلك كله نشأته وحياته في قصور حكام مصر التي هيأت له كل كانت تصبو اليه نفسه .

و تأسيسا على هذين السببين ، صار لزاما علينا أن نشير إلى تلك الأحد فاصطفاه والتطورات بشيء من الإيجاز .

رحلة الحياة وروافد الثقافة في القصر :

ولد أحمد شوقي في قصر الخديوي إسماعيل ، حيث الجاه والغني والتطلع، أباب عما كابده كثير من شعراء جيله ، ومنهم كما أسلفنا – الرصافي وحافظ إبراهيم وفي هذه البيئة ، ارتبط الشاعر بالأمراء قبل أن يصبح أمير الشعراء.

وقد توجه في سن مبكرة إلى المدارس الخاصة بعد أن ضاق بالكتاب التي كا إسماعيل تعنى بالدراسة الدينية ، ثم ألحق بعد انتهاء دراسته الأولية بمدرسة الحقوق ، مع منه بهجائه من أبناء الطبقة العالية .

وينهي دراسته فيها بقسم الترجمة ، وقد كفل له هذا أتقان اللغة الفرنسية ، و يكون الشاعر قد تعلم العربية ركية ، في مطلع شبابه ، بفعل حياته في القصر وهذا الولاء الشديد الخديوي قد حدد في رأينا موقع الشاعر

الاجتماعي اذ من فرنسا و المعبر عن سياسته ، ومن هنا كانت مواقفه بين الانكليز والمصريين أيضا تخضع لسياسة الخديوي وتتأثر بها سلبا وإيجابيا.

من هنا أصبح شوقي أسير المولاه، وصار شعره تجسيدا لسياسة القصر وحياة الخديوي ومن معه تصور حياتهم فيه وما فيها من عبث ولهو ، وما تموج به من صور الرقص والغناء و تشتبك فيه من علاقات ، و تحاك من دسائس ومؤامرات على الشعب ومصالحه على الوطن وحريته ، كل ذلك والشاعر يغض الطرف عما يراه ولم تكن هذه الحياة المترفة هي الوحيدة التي يستظل بها شوقي.

فقد كانت له صورة أخرى مغايرة في القصر ، يبدو فيها مسلمة ومؤمن أشده بتوافر - يكون الإيمان عمقا في نفسه ، فقد مضى يكتب أعظم مدائح النبوية ، ويدافع عن حوض الخلافة الإسلامية ، ويهنئ السلطان العثماني بانتصاراته على الأوربيين المارقين وبشرا بالفتح المبين .

فشوقي الذي عبر عن حبه وعن خمرته في الأبيات السابقة ، هو الذي نظم همزيته الشهيرة في الرسول محمد صلوات الله عليه .

والذي يهمنا من أمر هذا التناقض ، هو ما نتج عنه من شعر يحتفل به أدبنا الحديث ، على الرغم من أن هذه الفترة قد تميزت بكثرة قصائد المدح ، وأن الشاعر قد ابتعد فيها من الشعب والوطن ، إلا أن ذلك لم يصل إلى حد القطيعة ، فقد كانت مدائح النبوية ، وقصائده الإسلامية ، هي التي تصل ما بينه وبين الشعب الذي كان يتلقى تلك القصائد النملة والرضا ، لما كانت تمثله من عواطف دينية يحرص عليها الناس وقتئذ ، رد فعل الهجمات الغربية ، التي كانت تستهدف الإسلام و نظام الخلافة .

كما كانت قصائده المستوحاة من التاريخ المصري القديم ، تقوي هذه العلاقة بينه وبين جمهور الشعب ، خصوصا بعد استشعار المصريين لحضارتهم القديمة ، واحتفالهم مبادئ الحرية ، منذ غادرت حملة نابليون أرض مصر ، واكتشاف حجر رشيد.

وقد صار الشعر الذي صور فيه حياة النصر ، وما كان يدور من بذخ ولهو وعبث ، وتلك القصائد التي كان يمدح فيها السلاطين ، ويهنئهم على

انتصاراتهم في حروبهم ، كل ذلك صار وثيقة سياسية واجتماعية لمصر وأحداثها وتاريخها المعاصر .

ناهيك عما ما أشد يا بتوفر عليه كثير من تلك القصائد من روعة فنية ، تمتلك الأصالة والروعة ، وتحتفظ بكل ما تحتفظ به القصيدة الجيدة من عناصر الخلود ، كقصيدة (النيل) وقصيدة (توت عنخ آمون) وكل قصائده التي مدح بها الرسول الأعظم (ص) وهي لا تمتلك الأصالة الفنية وحسب وانما تتوافر قدر كبير من الصدق الشعوري الذي لا يرقى اليه شك و تطول بنا الوقفة ، لو حاولنا الإحاطة بشعر شوقي الإسلامي فلكتف بما قامنا لنشير اي موضوع يقف في طليعة الموضوعات التي عالجها الشاعر في هذه الفترة واعني بذلك موضوع الشعر التاريخي الذي نظمه متأثرا بفكتور هوجو والذي يهدف قررنا فرنا به إلى تأكيد النزعة الوطنية.

وتقف قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) في طليعة شعره التاريخي .

وقد استعرض فيها تاريخ الحضارة المصرية منذ القديم حتى وصل بها إلى عهد الخد بويين وهي أشبه بالملحمة الوطنية ، حتى عدها شوني ضيف (أم ديوانه الأول) .

اما قصيدته الثانية (النيل) والتي تمثل ڈرة ديوانه الثاني فهي في نظرنا تعلو قصيدته الأولى ، لأن شوقي قد أعتمد بناءها بالصور النابضة بالحركات والخطوط والألوان ، وغير ذلك من عناصر الصور الشعرية الناضجة .

والقصيدة طويلة مؤلفة من مائة وثلاثة وأربعين بيت ، يتحدث فيها شوقي عن تاريخ نشر الطويل منذ عهد الفراعنة ، وما شادوا من بناء سامي عضيم ، و يقف على اهرام مصر وعظمتها ، وسموها وخلودها ، ويشدو بمواكب انتصارات الفراعنة ، وما حققوه في هزيمة في الشعوب الملوك والعظماء ، ويتحدث عن طقوسهم الدينية ، وتقديمهم لنواميسها فيشيد بحضارتهم نيين الأحر العطية ، ويستمد من الكتب المقدسة صور قصص الأنبياء في لوحات تصويرية أخاذة .

وقد ركز في قصيدته هذه على الاسطورة (عروس النيل) التي صارت فداء لنهر النيل العظيم على مدى الأجيال ، ويرى أن هذا النهر العظيم مهد الحضارات والأديان .

والواقع أن عظمة هذه القصيدة ، تأتي من اعتماد بنائها على الصور الجزئية التي ينمو بعضها من بعض وحدة موضوعية متكاملة تكاد تشكل بعض مقاطعها وحدة عضوية إذ يأخذ بعضها بعناق بعض عبر أفكار مسلسلة يربطها خيط فكري متين .

والقصيدة تشكل من محاور منسقة منظمة ، لكن أجمل محاورها هو المحوريرسم فيه شوقي صورة لاحتفال المصريين بنداء النيل ، حيث تتطوع في كل سنة أو بنات مصر لهذا النداء